

(مجلة المنار القاهرية 1898-1935 ... الصدى والتأثير)

د/ بن جلول هزوشي، جامعة الجلفة

الملخص:

مثل ظهور الصحافة في الوطن العربي بعد الصدمة الحضارية التي شعر بها العرب بعد غزو نابليون لمصر شكلا من أشكال اليقظة الفكرية، والثقافية، ومحاولة اجتراح مشروع مقاومة واستجابة للتحديات الأجنبية. تتناول الورقة السياق التاريخي الذي ظهرت فيه مجلة المنار، التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، وحدد أهدافها، ومشروعها الثقافي والفكري، وأبرز العراقيل، والمشاكل التي عانت منها، وصداها وتأثيرها في العالم الإسلامي.

كلمات مفتاحية: المنار، محمد رشيد رضا، الدولة العثمانية، السلطان عبد الحميد الثاني، العروة الوثقى، الجامعة الإسلامية.

Abstract

Such as the emergence of the press in the Arab world after the cultural shock felt by the Arabs after the Napoleonic invasion of Egypt, a form of intellectual vigilance, cultural forms, and an attempt by the resistance to the project and in response to foreign challenges. our document addresses the historical context in which it appeared the magazine Al-Manar, which was founded by Sheikh Mohammed Rashid Rida, and set their goals and cultural and intellectual project, highlighted the obstacles and the problems that they suffered, and it's resonance and influence in the Muslim world.

دخل الوطن العربي و العالم الإسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر مرحلة خطيرة من التخلف الاقتصادي، و الجمود الثقافي والفكري، وعدم الاستقرار السياسي ترتب عنه خضوع اغلب الأقطار إلى سيطرة استعمارية مباشرة كان هدفها التحكم في المواقع الإستراتيجية، واستغلال الثروات الاقتصادية، و تصفية حسابات تاريخية ذات بعد ديني. وإذا كان اغلب الباحثين و المؤرخين يركزون في دراساتهم لأشكال، و أوجه المقاومة على البعد العسكري ويهملون أنواع الاستجابات لواقع التحدي الاستعماري، فإن الورقة تحاول التركيز على البعد الإصلاحي من خلال إبراز دور أعلام الإصلاح الإسلامي. وفي هذا الإطار يعتبر الشيخ محمد رشيد رضا مفكرا إسلاميا، و رائدا من رواد الإصلاح الذين انخرطوا في تيار النهضة كوسيلة لمواجهة التحديات الداخلية و الخارجية، التي كانت تعصف بالأمة العربية الإسلامية. و تشكل مجلة المنار التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، و تولى رئاسة تحريرها أهم مشروع فكري و ثقافي لفترة تجاوزت الثلاثة عقود، و أرخت لحركات الإصلاح و النهضة، و أبرز التطورات السياسية التي شهدتها الوطن العربي و العالم الإسلامي. و نتيجة الاستبداد الذي مارسه السلطان عبد الحميد الثاني في البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية اضطر الشيخ للهجرة من لبنان إلى مصر استجابة لنصيحة الشيخ عبد القادر القباني. ركب رشيد رضا السفينة من بيروت إلى الإسكندرية فوصل ميناءها مساء الجمعة الموافق لـ 03 يناير 1898¹⁹⁰. وفي الثامن عشر يناير التقى بالشيخ محمد عبده

¹⁹⁰ محمد رشيد ، رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ، ج 1 ، مطبعة المنار ، القاهرة ، ص 998.

وكشف له عن الأهداف الحقيقية التي تقف وراء مجيئه مصر، وهي الاستفادة من صحبته، وإنشاء صحيفة إسلامية تهتم بشؤون المسلمين، وتخوض في طرق إصلاحهم، فوافقه على ذلك واشترط عليه أن لا تنحزب لحزب من الأحزاب، وأن لا ترد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لها بدم وانتقاد، وأن لا تخدم أحدا من الحكام أو المسؤولين¹⁹¹.
صدور المجلة وأهدافها:

صدر العدد الأول من المنار بتاريخ 22 شوال سنة 1315 هـ الموافق لـ 15 مارس 1898¹⁹². وقد عرض رشيد رضا أهداف مجلة المنار منذ فاتحة العدد الأول من المجلد الأول حيث ذكر: "وغرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط من الأمراء والسلطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجارة الأمم المتقدمة، والأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مزحت عقائد الأمة، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد، والتأويلات الباطلة التي شمت الحق بالباطل"¹⁹³.

لم يكن رشيد رضا يهدف من خلال إنشاء المنار اكتساب شهرة، أو تحقيق ربح مادي، أو وسيلة للتعرف على الحكام، بل كان يحمل فكرة ويدافع عن مشروع طموح ارتبط بأستاذيه الأفغاني وعبد. وفي هذا الإطار يقول: "أنني لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة تأملها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة والخاصة أباهي الأقران وأباري به أعيال الشأن، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته. فلم أكن أبالي بشيء إلا قول الحق والدعوة إلى الخير"¹⁹⁴. ولذلك يقول أنه حين أصدر المنار طبع ألفا وخمسمائة نسخة، أرسل أكثرها فأعيد أكثر ما أرسله فلم يتحسر ويندب حظه، ولكنه أجاب: "ما كان عملي منتقصا شيئا من أملي، ولا زهد الأمة في المنار باعثا على جعله طعاما للنار، ولا لفائف لبعض التجار كما هي سنة أصحاب الضعف في هذه الديار بل كنت احرص عليه حاسبا أن الناس سيعودون إليه"¹⁹⁵.

يتضح من خلال أهداف المنار إيمان صاحبها بالتربية والتعليم، كدعامة أساسية للنهضة والرقى، وقاعدة لإحداث أي تطور اقتصادي وعلمي. وهنا يظهر مدى تأثره بالشيخ محمد عبده الذي نهى عن الاشتغال بالسياسة. ولعل ما يميز أهداف المنار هو الاهتمام بالقضايا الاقتصادية خاصة وأن تأسيس المنار تزامن مع بداية طرح قضايا جديدة للمناقشة مثل مسألة البنوك والتعامل المالي، وفوائد القروض المالية.

¹⁹¹ محمد، عبده، الاعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، ج3، ط1 تحقيق و تقديم محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 123.

¹⁹² هناك تناقض في تاريخ صدور العدد الأول من المنار. فالسيد يوسف يذكر في كتابه (رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف ص 27) تاريخ 17 مارس 1898، بينما يذكر سمير أبو حمدان، في كتابه تاريخ 22 مارس 1898 والراجع من خلال المراجع التي عدت إليها صحة التاريخ الأول.

¹⁹³ محمد رشيد، رضا، "فاتحة السنة الأولى للمنار"، مجلة المنار، م1، ج1، (القاهرة، شوال 1315هـ - فبراير 1898)، ص 11.

¹⁹⁴ محمد رشيد، رضا، "مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار"، مجلة المنار، م1، ج1، (القاهرة، شوال 1315 هـ - فبراير 1898م)، ص 2.

¹⁹⁵ المصدر نفسه، ص 3.

ورغم تركيز المجلة على الجانب التربوي، فإن العمل السياسي ظل ضمن اهتمامات رشيد رضا، حيث انخرط بعد وفاة محمد عبده في العمل السياسي، واتخذ مواقف محددة من الأحداث التي كانت تعصف بالمنطقة آنذاك، وهذا ما يؤكد رشيد رضا عندما يقول أن الغاية من إنشاء المنار هو مواصلة السير على نهج العروة الوثقى.

الصعوبات والعراقيل:

واجهت المنار عدة صعوبات وعراقيل في سنواتها الأولى، كضعف التوزيع والاعتماد على الاشتراكات، وتوقف الكثير من المشتركين عن الدفع، ومحاربتها من قبل الدولة العثمانية ومنع دخولها، وتراكم الديون التي كادت أن تتسبب في توقفها وهو ما دفعه إلى أن يطلق قبل وفاته صيحة يصف فيها العسرة المالية قائلا: "حتى إذا اشتدت العسرة وانحصر عمل المطبعة في ما نطبعه لأنفسنا وعجزت المكتبة على نفقتها، وكثر الدين علينا اضطررت إلى البحث عن مشركي المنار، وقد استنجدهم فلم أجد منجدا، بل استغثتهم فلم أجد غوثا، حتى رأيتي مضطرا إلى وقف إصدار المنار، وقد رجحت هذا الرأي حتى إذا قاربت سنة 1353 هـ الانتهاء عظم علي الأمر، وقد رباني الدين على الثبات واتقاء إبطال عمل اشرف فيه، فرأيت أخيرا أن أكشف القراء بحقيقة الأمر، فإن أكثرهم لا يعرفه"¹⁹⁶.

ورغم ذلك واصل عمله الإصلاحي بإرادة وتصميم كبيرين. إلا أنها استطاعت فيما بعد أن تشق طريقها وتملك شهرة واسعة، حيث كثر قراءها، وازداد عدد المشتركين فيها. ويعود الفضل في ذلك بالدرجة الأولى إلى الدور الكبير الذي لعبته في نشر أفكار الإصلاح الديني، ومحاربة البدع والخرافات، ومناقشة الأفكار والقضايا الكبرى التي كانت تشغل المسلمين، ومساهمتها الفعالة في تنمية الوعي، وإيقاظ الهمم، والتحذير من الأخطار والتحديات التي كانت تهدد كيان العرب والمسلمين. يضاف إلى ذلك دور الكتاب الذين ساهموا بمقالاتهم الإصلاحية كشكيب أرسلان، ومحمد عبده، ورفيق العظم، وعبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمن الكواكبي في رواجها. ولذلك اعتبر المراكشي ظهور مجلة المنار حدثا صحفيا وفكريا وعقائديا هاما للغاية في تاريخ الصحافة العربية عموما¹⁹⁷، وعدها وجيه كوثراني: ((مرآة لانعكاس أحداث تلك المرحلة التاريخية المهمة في وعي فقيه مسلم تمثل شكلا من أشكال الإيديولوجية مهمات الإصلاح، وتكون الدولة الإسلامية في مرحلة انتصار الإمبريالية¹⁹⁸)). كما اعتبرها أنور الجندي واحدة من الموسوعات الدورية الأربع التي عرفت الصحافة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي (المقتطف) ليعقوب صروف، و(الهلال) لجورجي زيدان، و(المشرق) للأب لويس شيخو¹⁹⁹.

صداها في العالم الإسلامي:

بلغ (المنار) قدراً كبيراً من الشهرة والذيع، وامتدت آفاقه إلى المشرق والمغرب، ووصل إلى كل مكان في العالم الإسلامي. وينقل لنا شكيب أرسلان شهادة مستشرق هولندي يؤكد فيه على أن (المنار) لم يشرق على القاهرة والعرب وحدهم، بل امتد إلى مسلمي أرخبيل الملايو واندونيسيا، وأصبح الذين اقتبسوا من نور المنار في مصر منارات صغرى في

¹⁹⁶ محمد رشيد، رضا، "تجديد جهاد المنار بينه وبين قرائه"، مجلة المنار، م 34، ج 10، (القاهرة، 30 محرم 1354هـ - 03 ماي 1935)، ص ص 797-798.

¹⁹⁷ محمد صالح، المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار 1898-1935، د ط، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس - الجزائر، 1985، ص 57.

¹⁹⁸ وجيه، كوثراني، مختارات سياسية من مجلة المنار، ط 1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1980م، ص 16.

¹⁹⁹ أنور، الجندي، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، ط 1، مكتبة الانجلومصرية، مصر، 1970 ص 91.

اندونيسيا بعد أن عادوا إليها²⁰⁰. ورغم أن رشيد رضا لم يزر بلدان المغرب العربي إلا أن علانقه كانت قوية مع رجال الإصلاح، وذلك من خلال مجلته التي لاقت رواجا كبيرا خاصة بعد زيارة محمد عبده إلى الجزائر وتونس سنة 1903²⁰¹. ففي تونس تأثرت النخبة المثقفة وفي طليعتها مشائخ الزيتونة بالدعوة إلى السلفية الجديدة وأصبحوا يقبلون على قراءة المنار حتى أن العدد الواحد منها كان يدار على عشرات²⁰². كما يظهر تأثير المنار في تونس من خلال ظهور مجلات ذات طابع ديني ك: (المجلة الزيتونية)، وفي ظهور علماء وشيوخ تمثلوا الدعوة السلفية التي كان رشيد رضا يدعو إليها²⁰³. وكان من أبرزهم محمد الطاهر بن عاشور²⁰⁴. أما في الجزائر فقد نشأت الصلة بين المنار والحركة الإصلاحية الدينية في الجزائر رغم الطوق الحديدي الذي فرضته فرنسا على الجزائر²⁰⁵، وتجذرت بعد زيارة محمد عبده إلى الجزائر، ومن إطلاع الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في جامع الزيتونة على المنار كعبد الحميد بن باديس²⁰⁶ الذي سيتزعم الاتجاه الإصلاحي في الجزائر من خلال تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،

والذي درس على يد محمد الطاهر بن عاشور تلميذ عبده، ومن خلال اللقاء الذي جمع محمد البشير الإبراهيمي²⁰⁷ مع رشيد رضا سنة 1911²⁰⁸. وقد أصبحت جريدة الشهاب التي أنشأتها الجمعية تعبر بشكل واضح عن الخط الإصلاحي الذي رسمه عبده ورشيد رضا في المنار. ويؤكد المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله ذلك عندما يعتبر أن الشكل الحديث للحركات الإصلاحية في الجزائر قد ارتبط بمجموعة من العوامل كان من

²⁰⁰ شكيب، ارسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ط1، مكتبة ابن زيدون، دمشق، 1930، ص 143.

²⁰¹ المنصف، الشنوفي، "علائق رشيد رضا، صاحب مجلة المنار مع التونسيين، 1898-1935"، حوليات الجامعة التونسية، ع 4، (تونس 1967)، ص 121.

²⁰² محمد صالح، المراكشي، قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1992، ص 98.

²⁰³ المرجع نفسه، ص 102.

²⁰⁴ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) ولد بتونس، ارتقى وهو لا يزال شابا مدرسا ثم أستاذا. شغل بعد ذلك مناصب مرموقة في جامع الزيتونة والمعهد الصادقي، ثم أصبح قاضيا مالكيًا، وبذل كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني. انظر: الصادق، الزمرلي، أعلام تونسيون، تعريب وتقديم حمادي الساحلي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص ص: 361، 367.

²⁰⁵ حنفي، بن عيسى، "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر"، مجلة الثقافة، س7، ع38، (الجزائر، أفريل-ماي)، 1977، ص 114.

²⁰⁶ عبد الحميد بن باديس (1889-1940) مفكر، ومصلح، ورجل دين جزائري ارتبط اسمه بالنضال من أجل تثبيت هوية الجزائر العربية الإسلامية في وجه الاستعمار، وسياسة فرنسا. أسس جمعية العلماء الملمين الجزائريين عام 1931. راجع: عبد الوهاب، الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985، ج3، ص 810.

²⁰⁷ المراكشي، قراءات، مرجع سابق، ص 109.

²⁰⁸ أبو القاسم، سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 118.

أبرزها تأثير الشيخ محمد عبده ومجلة المنار²⁰⁹. كما أن بروز الحركة الإصلاحية في الجزائر كان ثمرة طبيعية لمجلة المنار²¹⁰. ولم تخل صفحات المنار من الاهتمام بقضايا المغرب العربي من خلال الإشارة للمخاطر التي أصبحت تهدد ليبيا والمغرب الأقصى والمؤامرات التي تحاك ضدهما. فمثلا خصصت المنار حيزا كبيرا للظهير البربري الذي أثار ردود فعل عنيفة سواء في المغرب أو في العالم الإسلامي²¹¹، وتابعت تطورات التنافس الاستعماري الأوربي للسيطرة على ليبيا، وأوردت أخبار الطريقة السنوسية وزواياها، ودعت المسلمين إلى ضرورة تقديم الدعم والمساندة لها. ويستخلص سعد الله بعد دراسته لتأثير مجلة المنار والشيخ رشيد رضا في المغرب العربي تفاوت ملحوظا. فقد نالت تونس الاهتمام الأكبر بحكم مكانة شيوخ الزيتونة وزيارة عبده لها، ووجود عدد معتبر من أعمدة الإصلاح التونسيين في المشرق كعبد العزيز الثعالبي، وعبد العزيز جاويز، ومحمد الخضر حسين. وتأتي الجزائر في المرتبة الثانية بحكم زيارة محمد عبده لها، وعودة الإبراهيمي والعقبي من المشرق متشبعين بالفكر الإسلامي. أما تأثير المنار في المغرب فيأتي في الدرجة الثالثة بفعل معارضة الطرق الصوفية للإصلاح ومحافظة علماء القرويين²¹².

والأكيد أنه كان لمجلة المنار صدى كبير، وتأثير واضح في العالم الإسلامي عموما، والبلاد العربية خصوصا، وأنها أنتجت تياراً داعياً إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، ومركزاً على التربية والتعليم، ومناهضاً للبدع والخرافات والشعوذة والتصوف السليبي، ومؤمناً بأهمية الوحدة بين المسلمين كمدخل لاستعادة دورهم الحقيقي ومساهمتهم في رقي الإنسانية وسعادتها، وأن رشيد رضا كان معتدلاً، ولم يدع إلى الثورة ضد المستعمرين والغزاة، وربما هذا ما يبرز سماح السلطات الفرنسية بدخول المنار إلى تونس والجزائر، لأنها لا تدعو إلى العنف، وتمثل نهج محمد عبده المعتدل، وربما يكون ذلك لإنجاح مشروعه وصرف تلك القوى على معارضته، أو يكون نوعاً من التقية. وظل رشيد رضا يجاهد ويدافع عن الأمة، ويسعى في سبيل إصلاحها وإخراجها من مأزق التخلف الذي أصبح عليه المسلمون، وهم يواجهون مدينة الغرب المتفوقة عليهم اقتصادياً وعسكرياً إلى إن فاضت روحه في حادث سيارة عندما كان عائداً من مدينة السويس، حيث كان في وداع الأمير سعود بن عبد العزيز، وذلك مساء الخميس 22 جمادى الأولى عام 1354هـ الموافق ل 22 أغسطس عام 1935م²¹³.

الخاتمة

عموماً تمثل مجلة المنار مصدراً تاريخياً هاماً لعدد من القضايا الدينية، والفكرية، والسياسية، والاجتماعية التي ارتبطت بتطور تاريخ العرب والمسلمين منذ نهاية القرن 19، وحتى منتصف ثلاثينات القرن 20. وشكلت من خلال مقالات الشيخ محمد رشيد رضا، وكتابات أغلب أعلام الإصلاح الإسلامي فيها، ورصدها لأبرز حركات التغيير والنهضة، ومقاومة الاحتلال الأجنبية مشروعا فكريا وثقافيا ترك آثاره، وشكل تيارا قائما بذاته، رغم الصعوبات التي عانت منها، والضغطات التي مورست على مؤسسيها. ومالصدى الذي تركته في العالم الإسلامي إلا دليلا على ذلك.

²⁰⁹ أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 - 1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص 389.

²¹⁰ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 592 - 595.

²¹¹ سعد الله، بحوث، مرجع سابق، ص 122.

²¹² المرجع نفسه، ص 124 - 125.

²¹³ يوسف، السيد، رشيد والعودة الى منهج السلف، ط1، ميرييت للنشر و المعلومات، القاهرة، 2000، ص 158.